

سايكوسوسيولوجية الإنسان الحسيني  
في ضوء التفاعل النفسي والاجتماعي العميق  
مع زيارة الأربعين

م.م. وفاء وهبي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة - تونس

[wafawhibi94@gmail.com](mailto:wafawhibi94@gmail.com)

## الملخص

تعدّ زيارة الأربعين من أبرز الظواهر الدّينية وأعظمها في العالم الإسلامي من حيث الحجم والعمق الإنساني، هذه المسيرة التي يقطعها الملايين سيراً على الأقدام نحو كربلاء ليست مجرد إحياء لذكرى تاريخية، بل هي تعبير عن ارتباط وجدائيّ وفكريّ عميق بشخصية الحسين بن عليّ الذي أصبح رمزا عالميا للحرية والكرامة والعدالة.

فعلى امتداد التاريخ تطوّرت هذه الزيارة وأخذت أبعادا تجاوزت الجانب الطّقسي، لتصبح ظاهرة اجتماعية وثقافية وروحية، تحمل في طيّاتها معاني التّضحية، والصّبر، والوحدة، والالتفاء، والصّمود النّفسي المستمد من مأساة كربلاء، حيث يتمكن الزّائر خلال هذا الحراك الإياني من إعادة تشكيل ذاته وهويته بعيدا عن حدود الذات والمكان والزّمان، وفي خضمّ هذا التّفاعل الوجداني والجماعيّ تتكوّن ملامح «الإنسان الحسيني» بوصفه كائنا مشحونا بقيم العدل والمقاومة والرّحمة، يعيشها لا كشعارات بل كجزء من تكوينه النّفسي والسلوكيّ والوجوديّ. وللحديث أكثر عن هذا الكائن الذي أسميناه «الإنسان الحسيني»، سنسعى في هذه الورقة إلى ابراز أهمية زيارة الأربعين في إعادة تشكيل الوعي الذاتي والجماعي عن طريق التّطهير الرّوحي، وتعزيز الهوية، وتكوين طاقة داخلية قادرة على مواجهة التّحدّيات ضمن إطار قيمي مستمد من ثورة الحسين الخالدة، أين يجد هذا الزائر في الألم معنى، وفي المسير رسالة، وفي الحسين قدوة مشتعلة لا تنطفئ.

في هذا العنوان الذي اخترناه جمع بين الجانب الاجتماعي الذي يشمل الرؤية الاجتماعية المادية لأسلوب الحياة، وبين الجانب النّفسي وما يشتمله من تهذيب للنفس وإعادة تشكيل هذه النفس بناء على القيم الحسينية، و«السايكوسوسيولوجية» جمع

بين هذين الجانبين للحديث عن هذا الإنسان الذي يتسم في بعده الروحي والنفسي بالسمات الحسينية، لتصبح زيارة الأربعين مناسبة الى تحويل هذا الانسان المادي والمصلحي، والإنسان الغريزي المستسلم إلى الإنسان الاستعلائي الذي يتطلع إلى العلوّ والسموّ والترقيّ إلى مرتبة النقاء الحسيني.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين- سايكوسوسيولوجية- الإنسان الحسيني.

## Psychosociology of the Husseini man in light of the deep psychological and social interaction with Arbaeen visit

Asst. Lecturer. Wafa Wehbi

Faculty of Arts and Humanities, Sousse – Tunisia

### abstract

The Arbaeen visit is one of the most significant and profound religious phenomena in the Islamic world, both in terms of its scale and human depth.

This march, undertaken by millions on foot toward Karbala, is not merely a commemoration of a historical event ; rather, it is an expression of a profound emotional and intellectual connection to the figure of Hussein ibn Ali, who has become a global symbol of freedom, dignity, and justice.

Throughout history, this visit has evolved and taken on dimensions that transcend the ritual aspect, becoming a social, cultural, and spiritual phenomenon, carrying within it meanings of sacrifice, patience, unity, belonging, and psychological resilience derived from the tragedy of Karbala.

During this movement of faith, the visitor is able to reshape his self and identity, far from the boundaries of self, place, and time. In the midst of this emotional and collective interaction, the features of the « Hussaini

man » are formed. A being charged with the values of justice, resistance, and mercy, living them not as slogans but as part of his psychological, behavioral, and existential makeup. To discuss more about this being, whom we have called « the Hussaini man », in this paper we will seek to highlight the importance of the Arbaeen visit in reshaping personal and collective awareness thought spiritual purification, strengthening identity, and building an intenal energy capable of facing challenges within a value-based framework derived from Hussein's immortal revolution, where does this visitor find meaning in pain, a message in the path, and a burning example in Hussein that will never be extingished.

In this title, we have combined the social aspect, which encompasses the social-material vision of lifestyle, with the psychological aspect, which includes the refinement of the soul and the reshaping of this soul based on Hussein's values, Psychosociology combines these two aspects to discuss this human being who is characterized in his spiritual and psychological dimension by Hussein's traits, so that the Arbaeen visit becomes an occasion to transform this materialistic and self-intersted human being, and the instinctive, submissive human being into the superior human being who aspires to elevation, sublimity, and advancement to the level of Hussein's purity.

**Keywords :** Arbaeen visit – Psychosociology - Hussein's man.

## المقدمة

تتعلق إشكالية السايكوسوسيولوجية (اسم مركب يتكون من مصطلحين هما، سيكولوجيا (psychology) ويشير هذا المصطلح إلى النفس والجوانب النفسية للإنسان من خلال دراسة سلوكه وادراكه ووظائفه العقلية، ورغم أنه يمكن تطبيق هذا العلم على دراسة سلوك الحيوانات كذلك إلا أنه ما يعنينا في هذا السياق هو دراسة الجانب النفسي للإنسان الحسيني بالتحديد، وأمّا المصطلح الثاني فهو السوسيولوجيا (sociology) وهو مصطلح ابتدعه أول مرة أوغيست كونط سنة ١٨٣٩، ثمّ اهتمّ به ايميل دوركايم وطوّره فيه من خلال تركيزه على دراسة الظواهر الاجتماعية وخصائصها، ومن هذا المنطلق نحن نهتم في هذه الورقة بدراسة ظاهرة «زيارة الأربعين» عبر تطبيق منهج علم الاجتماع وخاصة علم الاجتماع الديني. بالتفاعل المعقد بين الجانب النفسي للفرد (الدوافع، المشاعر، والسلوك، والتكوين النفسي)، والجانب الاجتماعي (البيئة، والجماعة، والثقافة، والقيم الاجتماعية)، فهي تصيب مباشرة العلاقة التبادلية بين الفرد والمجتمع من خلال التركيز على تأثير هذه الجوانب في تشكيل السلوك الإنساني وتوجيهه. ولأننا نهتم بدراسة الإنسان الحسيني وعلاقته بزيارة الأربعين فقد اخترنا هذه المقاربة المركبة لتمهيتها وفكرة البحث بالإضافة إلى مساعدتنا على الغوص في أعماق هذا الإنسان وفهم خصائص هذه الظاهرة وتأثيرها خاصة في نفوس الزائرين.

قبل الانطلاق في الحديث عن الزيارة وماهي يجب الإشارة إلى تاريخية هذه الظاهرة، فالاحتفال بأربعين يوماً بعد الوفاة هي عادة إسلامية لأهمية العدد أربعين ورمزيته في كلّ الحضارات القديمة مثل السومرية والبابلية والمسيحية وليس عند المسلمين فقط، غير أنّ الاحتفال بأربعينية الحسين عند الشيعة لها دوافع وأسباب أخرى، تتمثل في لحظة اتحاد الرأس مع الجسد، وكان رأس الحسين قد فصل عن

جسده في العاشر من محرّم وحُمل على رمح طويل مع قافلة السبايا إلى يزيد في الشام، ثم بعد أربعين يوماً من استشهاده عاد الرأس إلى كربلاء ودفن مع جسده، هذا الإتحاد له دلالة رمزية في نفوس أتباع الحسين، ولهذا فإننا نعيد هذا الاحتفال إلى هذه اللحظة الفارقة في تاريخ مقتل الحسين والأحداث التي حفّت به، (تعود زيارة الأربعين أيضاً إلى واقعة تاريخية تقول أنّ هناك رواية تقول أنّ الإمام السّجاد أثناء عودته مع قافلة السّبايا من الشام نحو المدينة توجّه إلى العراق لزيارة قبر أبيه قبل ذهابه، وقد صادفت زيارته اليوم الأربعين لاستشهاده، وفي زيارته هذه التقى بأحد الصّحابة البارزين وهو جابر الأنصاري وعدد من بني هاشم وهم بصدد زيارة قبر الحسين والتّرحّم عليه، ودار حوار بين عليّ ابن الحسين وجابر الأنصاري حدّثه فيه عن المأساة التي عاشوها في)) من هذه اللّحظة أصبح عدد الزوّار يزداد كلّ سنة، ولهذا تعدّ زيارة الأربعين واحدة من أعظم التّظاهرات الدّينية والروحية والاجتماعية في العالم، حيث يتوافد الملايين من المسلمين-ونجد من بينهم ديانات ومذاهب مختلفة- صوب كربلاء في مسيرة يملؤها الإيمان والتّحدّي والالتزام بالقيم والمبادئ الحسينية، لأنّ زيارة الأربعين ليست مجرد حدث طقسي، بل هي ظاهرة إنسانية عميقة تحرك في الفرد مشاعره، وتعيد في نفس الوقت تشكيل وعيه الاجتماعي والنّفسي، لتربطه بجذور الهوية، والرّسالة، والقضية. في هذا السّياق تبرز الحاجة إلى دراسة سايكوسوسيولوجية الإنسان الحسيني - أي تحليل التّكوين النّفسي والاجتماعي الذي يتجلّى في سلوكه، ومواقفه، ومشاعره، وطريقة تفاعله مع واقعة العاشر من محرّم وتجليها الحيّ في مسيرة الأربعين، هذا التّفاعل العميق لا يقتصر على الجانب الشّعوري أو الدّيني فقط، بل يمتدّ ليشكّل دينامية اجتماعية فريدة تعبّر عن الانصهار بين الفرد والمجتمع، بين الماضي والحاضر، وبين الذات والرّمز.

إنّ زيارة الأربعين تفتح المجال أمام الإنسان الحسيني ليعيش تجربة تطهيرية متكاملة، فهو يمشي بدافع الحب والولاء، ويتفاعل مع الحشود بروح التعاون والتكافل، ويعيد ترتيب أولوياته الحياتية في ضوء منظومة قيمية مركزها الحسين، وهنا تبرز أهمية فهم البعدين النفسي والاجتماعي لهذا الإنسان، من خلال تحليل دوافعه العميقة، وأثر الحسين في تشكيل وجدانه، وانعكاس ذلك على علاقته بذاته وبالآخرين، وبالواقع الذي يسعى لتغييره. (كربلاء قبل أربعين يوماً. (تراجيديا كربلاء سوسولوجيا الخطاب الشيعي ١٩٩٩، ص ١٣٠).

من هذا المنطلق، نسعى في هذه المقالة إلى استكشاف الخصائص السايكوسوسولوجية للإنسان الحسيني في ظلّ زيارة الأربعين، مع التركيز على كيفية تشكّل الهوية وانبثاق المعنى، وتجليّ الإيثار، والانخراط الوجداني والجماعي في ملحمة تتجاوز حدود الزمان والمكان، لتعبّر عن مشروع روحي وثقافي متجدّد، يمكن من خلاله احداث تفاعل بين الزائر والأربعين لإعادة تشكيل وعيه الفردي والجمعي في آن واحد وهي فرضية بحثنا هذا التي سنسعى عبر أقسام الدراسة إلى اثبات حدوثها فعلياً أثناء انخراط الزائر في جماعة تحمل ذات المشاعر وتسير نحو هدف موحّد مما يدفعه إلى الانخراط داخل هذه الجماعة انخرطاً نفسياً وجسدياً يعزّز هويته الجماعية ويولّد عنده شعوراً بالانتماء والقدرة على التغيير، ممّا يخلق ما يمكن أن نسمّيه بالتربية الشيعية، التي يعاد من خلالها صياغة الذات والمجتمع بعيداً عن التعامل السطحي مع ظاهرة الزيارة واعتبارها مجرد حدث طقسي، وهذا ما يدفعنا إلى طرح جملة من التساؤلات التي ستدّل في نظرنا صعوبات هذا البحث وستبيّن حدوده ومن ثمّ نتائجه.

كيف يشكّل المجتمع شخصية الفرد؟

- كيف تؤثر البنى الاجتماعية كالأسرة والاعلام في التكوّن النفسي للفرد؟
- كيف يمكن للفرد أن يغيّر في مجتمعه انطلاقا من وعيه بأزماته النفسية؟
- كيف يتفاعل المؤمن الشيعي مع زيارة الأربعين؟
- هل تمكّن التجربة العاشورائية الأفراد من تجاوز البعد العاطفي إلى بعد إصلاحي فعّال؟
- إلى أيّ مدى يمكن القول بأنّ التفاعل مع الحسين هو تفاعل وجداني فقط؟
- كيف تسهم الذاكرة الحسينية في تشكيل هويّة جماعية مقاومة عبر الزمن؟
- ما نوع التحوّلات الوجدانية التي يعيشها الانسان الحسيني أثناء المسير؟
- هل يمكن القول أنّ زيارة الأربعين آية للشفاء النفسي والهروب من الضغوط اليومية؟
- كيف تعيد مواكب الخدمة ترتيب القيم الاجتماعية مثل الكرم، والإيثار، والانتها؟
- إلى أيّ مدى نجحت كربلاء في صناعة نموذج اجتماعي متماسك فشلت بعض الأيديولوجيات في صناعته؟

## الإطار النظري للسايكوسوسيولوجية الحسينية

### اولا - سيكولوجية التغيير الحسيني

تعدّ تجربة الإمام الحسين عليه السلام من التجارب الأبلغ أثرا في الفكر الإسلاميّ لما تحمله من طابع دموي لا إنسانيّ، فالعاشر من محرّم ذكرى مأساة كونية، مأساة احتزّ إثرها رأس ابن بنت نبيّ الإسلام، وانطلاقا من هذه المأساة التاريخيّة يمكن أن نتحدّث عن التأثير النفسي لمقتل الحسين عليه السلام في نفوس المسلمين، فالمسلم الشيعي اليوم يُحيي ذكرى العاشر من محرّم من كلّ سنة لغاية إعادة تشكيل صورة هذا البطل، الذي اختار الشهادة بدل الخضوع، واختار الخروج والمقاومة نصرة للحق أمام الباطل، في أذهان المؤمنين بهذه القضية الإنسانية التي ستظلّ حيّة وقائمة إلى نهاية الوجود. إنّ خروج الحسين لم يكن طلبا للحكم ولا منافسة على السّلطة بل كان لغاية الإصلاح، ونجد هذا في قوله « إني لم أخرج أشرا ولا بطرا... ولكن خرجت لطلب الإصلاح»، وهذا يعكس سيكولوجيا الإنسان المصلح الذي يحمل في داخله شعور المسؤولية تجاه الآخرين والتدخّل إذا تطلّب الأمر، ولأنّ الناس استنجدوا به فقد لبّى نداءهم وخرج لنصرتهم، رافضا بذلك الخضوع لظلم الحاكم ومن والاه، معبرا عن موقف نفسي عميق يرسم صورة حقيقية للشخصية الحرّة الواعية بالكرامة الإنسانية.

يمثل الحسين عليه السلام رمزا نفسيا عميقا للتغيير والتحوّل في الوعي الإنساني، ليس من منظور ديني أو تاريخي، وإنّما من زاوية سيكولوجية تتعلّق بالإرادة، والمقاومة، والتحرّر، ويمكن أن نبرّر هذا انطلاقا من الطّبيعة البشرية أو الفطرة التي خلق عليها البشر، فالإنسان بطبعه يميل إلى السّلامة والنّجاة بنفسه من المخاطر المحيطة به والتي يعي مدى تأثيرها على سلامته، غير أنّ الحسين عليه السلام خالف هذه الفطرة البشريّة وسلك طريقا معاكسا فيه غلبة على غريزة الخوف والاستسلام وكسر للحواجز الدّاخلية

التي تقيّد إرادة الإنسان وتحول دونه وكلمة الحق، وتخلصه من خوفه من السلطة أو من التّفوذ وأصحابه و من فكرة فقدان الأمان والسّلام الدّاخلية والخارجية أيضا، فالْحسين (عليه السلام) بهذه الحركة أصبح رمزا ملهما للأفراد ومحفزا إيجابيا ودافعا مباشرا للمغادرة منطقة الرّاحة النّفسيّة وخوض معركة الحياة، لأنّ الحياة فانية في نهاية المطاف وكلّ كائن بشري مطالب بتأدية رسالته التي خلق من أجلها ومواجهة مصيره المحتوم، وهو ما فعله الحسين (عليه السلام) الذي خرج رغم علمه المسبق بمصيره الذي ينتظره، الذي خرج أعزلا من السّلاح والنفر، خرج وهو يعلم مسبقا بمصيره وبما ينتظره هناك في كربلاء هو وأهل بيته، ولكنّه خرج لأنّ رسالته لا يمكن أن يؤديها إلّا بالدم، خرج لأنّه مطالب بالاستشهاد في سبيل الحق، وفي سبيل ما جاء به الأنبياء من قيم وأخلاق وعدل.

سيكولوجيا يمكن القول أنّ الحسين (عليه السلام) يرمز إلى الإنسان الذي يختار بإرادته النّابعة من ضميره وليس تحت ضغط البيئّة أو الخوف، وهذه المبادرة التي قام بها سبط الرّسول من شأنها أن تستنهض الضّمير الجمعي، والضّمير الإنساني وتدفعه إلى تبنيّ القيم الإنسانية الكبرى، فخروجه لم يكن ضدّ ظلم يزيد فحسب بل كان صرخة لإيقاظ وعي الأمتّة وهو ما يفسّر الأثر العميق الذي تركه العاشر من محرم في نفوس المسلمين والإنسان عموما، لأنّه تحوّل من مجرد حادثة تاريخية أو حرب، ضمن قائمة جملة من الحروب المتتالية في تاريخ البشرية، إلى تجربة نفسية تحويلية، ذلك أنّ الأحداث المؤلمة والمأساوية الكبرى يمكن أن تكون محفّزات للنضج الدّاخلية ولإعادة تعريف الهويّة والمعنى، والحقّ، ويمكن أن تجسّد أيضا الصّراع بين الذات والقيم من جهة، والعالم الخارجي من جهة أخرى، فالذات المؤمنة بالقضايا الوجودية دائما ما تجد نفسها في مواجهة مباشرة وشرسة مع عالم مادي غير عادل، أين يجب أن تحافظ عن جوهرها الحقيقي وأن تؤدي رسالتها كما أداها الحسين (عليه السلام).

ومّا ذكرنا تتأكّد سمة الحسين عليه السلام المفارقة انطلاقاً من حدث استشهاده الذي يعتبر مخالفاً ومختلفاً كلّ الاختلاف عن باقي الأحداث التاريخية «فالحسين بطل ملحمة وجودية خرج لينال الشهادة التي أمر بها منذ لحظة ولادته..» (وهيبي وفاء، الحسين وأنطولوجية وراثية المعنى، ص ٢) ولهذا أُسندت له كلّ خصائص النّجاح الدّيني والسياسي والرّمزي، وكان ذلك عبر القصص والحكايات التي أصبحت جزءاً من الحياة اليومية للمسلم الشيعي والتي يرى فيها محرّكاً للحياة ودافعاً للاستمرارية، ومحفزاً نفسياً لخوض معارك الحياة دون الخضوع للآخر أو للظلم، لأنّ كينونة الفرد في هذه المرحلة تتشاكل مع محتوى حركة الحسين، ليصبح هو في حدّ ذاته ميراثاً نفسياً تتوارثه الجماعة المسلمة جيلاً بعد جيل معبرة عن مركزية هذا الميراث في تشكيل صورة الإنسان المجاهد/المقاوم، فهو ميراث وجودي مرّ عبر مراحل زمنية فالإنسان منذ هبوطه إلى الأرض وهو في صراع ثنائي الأقطاب بين الخير والشرّ / الحق والباطل / النور والظلام، وبما أنّ الحسين كان حاملاً للواء الحق مدافعاً عن دينه وعن دين جدّه فإنّ حركته تحوّلت من مجرد خروج أو معركة سياسية إلى ناموس كوني تسير على خطاه الجماعة المؤمنة بأنّ الحسين عليه السلام فكرة ثورية والأفكار الثورية لا تموت، بل هي محرّك الحياة والدافع نحو التحرّر من القلق الوجودي الذي يعيشه الفرد ويحمله في داخله، وبهذا يصبح الحسين عليه السلام رمزا مباشراً لسايكولوجية الشيعي الذي يسعى من خلال زيارة الأربعين إلى تجديد نفسه وعلاجها من كلّ شوائب اليومي الذي تعيشه، فالحسين رمز للفداء والتضحية من أجل اعلاء قيم الحق والعدالة ومن أجل تمهيد طريق الصّلاح لمن بعده ولشيعته ولهذا فإنّ السّير على خطاه والالتزام بمبادئه وزيارته هي من مقومات السّلامة النفسيّة للمسلم الشيعي بل ولكلّ المسلمين والمؤمنين الذين يرون تضحية الحسين عليه السلام حقّ رؤيتها ويضعونها ضمن سياقاتها الإنسانية الحقيقية.

يصبح الحسين عليه السلام انطلاقةً لما ذكرنا رمزاً إنسانياً ونفسياً للانعقاد من قيود السلطة والظلم والوجود ككل، وهو أيقونة نفسية للتغيير والتجديد، فهو البطل الثائر عن كل أشكال الظلم والرافض للخوف والذل وكل من يتهاهى معه يتخلص من خوفه الداخلي عبر مروره بصدمة وجدانية تغير مركز الثقل النفسي عنده، ولهذا نجد الشيعة يجددون عهدهم مع الحسين عليه السلام في العاشر من محرم من كل سنة، لأنّ السيكولوجيا الجماعية تتأثر بالصورة المأساوية لحادثة كربلاء وهذا يدفعها إلى إنتاج وعي جديد، وإعادة ترسيخ القيم في اللاوعي الجمعي، وإعادة تفعيل الذاكرة العاطفية أيضاً، عبر الزيارات والمجالس التي تعتبر آليات نفسية جماعية لاستحضار ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام مع ما رافقها من حزن وألم، وهذا من شأنه أن يساعد الزائر على التطهر من الضعف واستبطان البطولة والصبر والتشبع بفكرة الفداء ومن ثمّ الانصهار في شخصية الحسين عليه السلام الرمزية التي تمثل الأنا الأعلى في السيكولوجيا الأخلاقية.

إذا سيكولوجية التغيير الحسيني ليست لحظة آنية، بل هي مسار تراكمي يعاد إحياءه في الضمير الجمعي كل سنة في العاشر من محرم، هي في الحقيقة دعوة لاجتراح معنى الحرية من داخل النفس قبل أن تتحقق في الواقع، فالحسين في جوهره ثورة على الجبن الداخلي، وبوصلة لتجاوز الانكسار النفسي نحو النهوض القيمي.

## ثانيا - سوسولوجية الجماعة الحسينية

### ١. المسيرة كفضاء اجتماعي مقدّس :

في الزّمن الحديث حيث تتآكل القيم الجماعية وتتفكك الروابط الرّمزية، تظهر بعض الطّقوس الدّينية الكبرى كأطر مقاومة لهذا التّفكك وتعيد تأسيس ما يمكن تسميته بـ «الفضاء الاجتماعي المقدّس»، ولعلّ أبرز هذه الظواهر التي نتحدّث عنها هي زيارة الأربعين، حيث يتجلّى إثرها تفاعل فريد بين الجسد، والجماعة، والرّمز، فزيارة الأربعين ليست مجرد انتقال مادي من مكان إلى آخر، بل هي رحلة رمزية تحوّل الطّريق إلى فضاء «محرم» يعلو على الزّمن العادي ويتجاوزه في حركة مقدّسة يقوم بها الزوّار الذين يرون في الطّريق إلى كربلاء، طريق تطهّر وجهاد ونضال، أين تستعاد القيم الدّينية الكبرى مثل الفداء، والصّبر، والمحبة، والقيم الاجتماعية، كالتعاون، والمسؤولية، وكرم الصّيافة، وحسن الاستقبال. في هذه المسيرة الشّعبية تذوب كلّ الفروق الطبّقية واللّغوية والجنسية، لتندمج الجماعة في شعور جماعي بالانتماء إلى ذات الأهداف وذات القضية، فالجميع «زائر»، والجميع «حسيني» الهوى والوجهة والعشق.

من خلال الطّقوس والشّعائر المرتبطة بالإمام الحسين، وخصوصا عاشوراء وزيارة الأربعين، تتبلور هوية جماعية متماسكة تتميز بخصوصياتها الرّمزية، والانفعالية، والتنظيمية، وهي لا تؤدّي وظيفة دينية فحسب، بل هي ممارسة اجتماعية تقوم بوظائف تعبيرية وتواصلية من جهة، وهي من جهة ثانية، رحلة تهدف إلى تزكية البدن وتربية النّفس، فزيارة الحسين عليه السلام وغيره من الأئمة - في تقديرنا - ليست مجرد طقس ديني شكلي، بل هي عبارة عن ميثاق مع الله بالولاء لأوليائه والبراءة من أعدائه، بالإضافة إلى أنّ هذه الزيارات تساعد الفرد على تجديد ذاته وشحن روحه بقيم الحسين عليه السلام ومبادئه،

كما أنّ طاقة المكان المقدّسة تتيح للفرد نوعاً من التّفريغ النّفسي والانصهار في الكلّ الجماعي، وهو ما يعزّز تماسك الجماعة ويعيد تشكيلها باستمرار، وهذا يبيّن «الجهود العظيمة التي بذلها المعصومون في سبيل إحياء رسالة الله، وتذكرنا بتضحياتهم، سواء في العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، وهذه الزيارة هي دعوة صادقة للالتزام بما أمر به المعصومون (عليه السلام)» (الأسدي د. أطيفاء علي كاظم، آثار زيارة وارث، وقائع المؤتمر العلمي الإمام الحسين عليه، ص ١٣٣). وانطلاقاً من هذه الزيارة ومن استذكار جهود الأئمة في ترسيخ هذا الطّقس يتذكر الفرد مسؤوليته تجاه مجتمعه وتجاه دينه، ليكون الحسين رمزا خالداً لترسيخ قيم الحقّ والشّجاعة والتّضحية والصّبر وقوة الإيمان بالله.

يأتي يوم الأربعاء بعد يوم عاشوراء في أهميته، يصادف هذا اليوم تاريخ ٢٠ من صفر حسب الترتيب الهجري لأشهر السنّة، في هذا اليوم تقام احتفاليات الزيارة في كربلاء دون غيرها لوجود قبر الحسين هناك، والجماعة الحسينية في هذا اليوم تتميز بالتراتبية والتنوّع في بناها ووظائفها، تشمل هذه البنى رجال الدين، والرّواديد، والخطباء، والمتطوّعين، وأصحاب الهيئات، بالإضافة إلى أصحاب المواكب، وهذه البنية ليست بالضرورة هرمية سلطوية، بل هي تراتبية وظيفية رمزية تنبع من مدى خدمة الفرد للقضية الحسينيّة، وهذا يعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية بطريقة تتجاوز البنية التقليديّة للمجتمع المحليّ، فالجماعة الحسينية، رغم نشأتها الشّيعية إلاّ أنّها تُظهر انفتاحاً كبيراً على الآخر، وخاصّة في المناسبات الكبرى مثل زيارة الأربعين التي تشهد مشاركة غير شيعيّة وحتى غير إسلامية، هنا تتحوّل الجماعة إلى فضاء تفاعليّ يتجاوز الهويّات الصّغرى نحو مشروع كوني يركّز على قيم «نصرة المظلوم»، و«الحق فوق القوّة»، ممّا يعزّز نزعة التّوسّع الرّمزي للجماعة.

من المنظور السوسيولوجي، تنشط الجماعة الحسينية كحركة ديناميكية تعيد تشكيل الوعي الفردي داخل بنية جماعية تشمل الانفعال الجماعي، والتكرار الشعائري، والبكاء الجمعي، وهي ليست مظاهر عاطفية فقط بل هي آليات تعيد تشكيل علاقة الفرد بذاته وبالعلم، لأن الفرد في الجماعة الحسينية يعيد صياغة هويته من خلال الانخراط في سرديّة تتجاوز ذاته الصّيفة وتمنحه بعداً نضالياً وأخلاقياً.

## ٢. الهوية الجمعية :

تعدّ الهوية الدّينية أحد أبرز أنماط الهويّات الجماعية التي تتشكّل عبر التاريخ والذاكرة والممارسة، وبالنظر إلى أهمية طقس الزيارة في السياق الشّيعيّ نفهم أنّ هذه الظّاهرة هي لإثبات الوجود الفعلي للإنسان الحسيني، أين تتجاوز الأطر العقديّة نحو مستوى الوجدان والممارسة اليومية، فحادثة كربلاء ليست حدثاً تاريخياً ضمن نسق تاريخي ملئ بالأخبار والحروب والمآسي، إنّما كربلاء تعتبر حقيقة مستمرة، والزيارة ليست مجرد زيارة قبر، بل هي تجديدٌ للميثاق مع الحسين «لبيك يا حسين»، هي تذكير بمعركة «الحقّ» و«الباطل»، وهذا يجعل الهوية الحسينيّة هوية متجدّرة في موقف وجودي وأخلاقي، وهذا يعزّز شعور الفرد بأنّه جزء من جماعة تحمل قضية ورسالة.

الطقوس الحسينيّة، وعلى رأسها طقس الزيارة، لا تُعيد فقط إحياء ذكرى، بل تبني عبر الجسد، والذاكرة، والمخيال، والعاطفة، والسلوك هوية حسينية متكاملة، هويّة تتجدّر في التاريخ، وتعيش في الحاضر، وتطمح إلى التّغيير عبر الالتزام بطقوس تحدّد هوية هذا الجماعة، والطقس هنا باعتباره أداء جسدي يُجسّد الانتماء الجمعي الذي يتجاوز الحدود القومية والطائفية، ويصبح الجسد فيه وسيلة للتعبير لأنّ الألم، والجوع، والعطش، والتعب تُؤلّ بكونها وسائط تعبيرية للاقتراب من الحسين

ومعايشة مأساته التي عاشها وأهل بيته في كربلاء واستشهد إثرها معايشة رمزية، وأما الرّيات، والشّعارات، والأهازيج، والألوان، والأزياء، فكلّها آليات تعبيرية غايتها إعادة انتاج رموز الهوية الحسينيّة التي تغدّي المخيال الجمعي، وتشكّل ما يمكن أن نصلح عليه بالمجال الرّمزي للهويّة الحسينيّة. في هذا المجال يتعلّم الفرد قيم الحسين كالصّبر، والتّضحية، ونصرة المظلوم، ومقاومة الظّلم، وهنا يتشكّل وعي أخلاقيّ مبنيّ على هويّة المقاومة. وانطلاقاً من حديثنا عن الهويّة الحسينية التي تتشكّل عبر الطّقوس والالتزام بالزيارة نلاحظ أنّ هذا التّفاعل العميق بين الطّقس الدّينيّ والانتماء الجماعي، يعكس عمق البنية الرّمزية والاجتماعية لهذه الشّعيرة-أي زيارة الأربعين- والتي تمثّل سيرا طوعيا وقلبيا نحو الحسين، في تجاوز صارخ لحدود التّدنّ نحو منطق هوية نضالية وولائية، والهوية في هذا السّياق ليست مفروضة من الخارج وليست حسب ما تطلبه الجماعة المؤمنة، إنّها هي هوية تُبنى من الدّاخل عن طريق الفعل والمشاركة والنيّة.

في الطّريق إلى الحسين تظهر تلك الرّوابط المتينة بين الجماعة من زائرين وخدم، حيث تتكوّن روابط روحانية تربط بين الحضور على مختلف جنسياتهم ولغاتهم وأفكارهم، لأنّ الذي وحدّ صفوفهم هو حبّ الحسين وحده، ومأساة كربلاء وحثّ قلوبهم وشكّلت شبكة عميقة موحّدة اسمها «نحن»، وهذا التّفاعل بين الجماعة على اختلاف طبقاتهم- الوظيفية طبعا-، ينتج تضامنا اجتماعيا فعّالا يتجدّد كلّ سنة، ويجدّر الإحساس بالهويّة المشتركة، تلك الهويّة التي تتلخّص في مأساة كربلاء، في ذلك الألم الذي تتقاسمه جماعة ويؤثّر في وعيها ويجعلها مميّزة عن غيرها، وهذا التميّز تغدّيه مجموعة من الآليات التي تعتبر كلمات مفتاحية للانتماء إلى الطّائفة الشّيعيّة، هذه الآليات يمكن أن نجعلها في خمس نقاط أساسيّة، أوّلا رمزية كربلاء كحدث مؤسس، ثانيا زيارة الأربعين باعتبارها تجربة جماعية روحية وعاطفية، ثالثا الخطاب الدّيني الذي يعيد إحياء الحسين كرمز

للعدالة والمقاومة، رابعا المواكب والطقوس كفضاء تفاعلي له بعد عاطفي وجسدي جماعي، خامسا وأخيرا فكرة التّعامل مع العدوّ حيث يُصوّر أحيانا في الخطابات كأنّه «يزيد المعاصر»، وهذا يعزّز الشّعور بضرورة المواجهة والصّمود.

الالتزام بزيارة الأربعين يخلق هوية جماعية من خلال المعنى المشترك، والممارسة الجماعية، والذاكرة، والالتزام العملي، إنّها هوية لا تورث فقط، بل تُعاش وتُتجدّد عبر الطّقس والتّجربة، وهي في جوهرها إعلان رمزي للولاء والاحتجاج والارتباط بسرديّة كربلاء كمرجعية قيمية وروحية.

## التّفاعل السّايكوسوسيولوجي مع الزيارة.

### ١. على المستوى الفردي:

التّفاعل السّايكوسوسيولوجي في زيارة الأربعين يُحدث تحوّلًا نفسيًا عميقًا للفرد، حيث تتحوّل مشاعر الألم والأمل، والاعتراب والانتماء، إلى تجربة مركّبة يُعاد من خلالها تشكيل وعيه وهويته، إنّها تجربة سيكولوجية جماعية شافية تعيد للفرد توازنه الدّاخلي من خلال التّفاعل مع جماعة تؤمن بنفس الرموز وتسير في نفس الاتجاه، ومن هذا المنطلق نقول أنّه لا شكّ عندنا أنّ الطّقس الزيارة له تأثيرات مباشرة على الفرد بدرجة أولى وعلى الجماعة بدرجة ثانية، لأنّ قبل الزيارة وبعدها هناك تغييرات حاصلة لا محالة (سنيين ذلك في استبيانات ثلاث أجريناه مع ثلاثة أشخاص شاركوا في زيارة الأربعين، وسنضعها في آخر المقالة). وسنهتم في هذا الإطار بتأثيرات الزيارة في الفرد على المستوى السّيكولوجي، حيث يشعر الفرد إثر الزيارة وأثناءها وحتى بعدها بالقوّة والاندفاع، والارتياح، وتخفيف التوتّر، بالإضافة إلى تعميق الإيمان بالحسين وبمبادئه.

زيارة الأربعين تحرّر الفرد من الضغوط النفسية المرتبطة بالفردانية، حيث يشعر الزائر بأنّه ليس وحده، بل هو مع مئات الآلاف الذين يشاركونه الإيمان، والألم، والأمل، والحي للحسين، وهذا من شأنه أن يُحدث تحوّلاً عميقاً في البناء النفسي للفرد، ثمّ إنّ الزيارة بما تتضمنه من مشي لساعات طويلة وتأمّل وصلاة وخدمة وتحمل، تُحدث ما يشبه التحوّل التطهيري الذي يشمل، تطهير من الذنوب والتوترات الدّاخلية، ومراجعة النفس ومحاسبتها، بالإضافة إلى حضور شعور عميق بمعنى الوجود والغاية من الحياة، فالكثير من الزّائرين بعد الزيارة يتناهم شعور بأنهم خرجوا في رحلة علاجية نفسية روحية، فيها بكاء وصمت، وتواصل، وعطاء، وهذه المشاعر تحفّز الفرد على التّحمّل النفسي والصّبر، والاحساس بالانتصار على الذات والراحة بعد الخمول، فهذا التّحمّل لا يُبنى فقط على الإرادة، بل يُبنى على الدّافع الرّوحي والإيماني الذي يُعطي المعاناة معنى، وهذا ما يفسّر سير النّاس آلاف الكيلومترات دون شكوى أو تدمر.

من التأثيرات النفسية الأخرى على الفرد خلال زيارة الأربعين، هي إشباع الحاجة إلى المقدّس والحاجة إلى معنى الحياة، ذلك أنّ الفرد في العالم المعاصر يواجه أزمات فراغ وجودي وتيهها أخلاقياً، وزيارة الأربعين فرصة مناسبة لمنحه إطاراً رمزياً مقدّساً يعيد من خلاله بناء المعنى في حياته عبر اتّصاله ببطولة حسينية تملأ روحه بالشّجاعة والصّدق والثّورة على الظّلم، وهذا يولّد عنده شعور بأنّه على طريق الحقّ، وهذا يدفعنا إلى الإقرار بأنّ الفرد يخرج من زيارة الأربعين بهوية أعمق، ووعي أصفى، وتوازن نفسي أمتن يمنحه قدرة عجيبة على حسن التّعامل مع ألمه الشّخصي.

## ٢. على المستوى الجمعي:

زيارة الأربعين تعيد تشكيل الهوية الجمعية للمشاركين بها من خلال توحيد المشاعر والرموز، حيث أنّ ملايين الزوّار يحملون نفس الشعارات ويستذكرون نفس القصّة ويحملون نفس الألم، وهذه القواسم المشتركة بينهم تعزز الشعور بالانتماء المشترك، وتفرض سلطة الوعي التاريخي المشترك، كما تغذي الإحساس بأنّ هذه الجماعة تملك سرديّة خاصّة بها قوامها المظلومية والحقّ والمقاومة، والتعاون، وانطلاقاً من هذه المعاني التي تحملها زيارة الأربعين، فإنّ تكرارها الطّقسي وتجديدها سنوياً يقوّي الهوية الدّينية والسّياسية للجماعة.

تعدّ الزيارة فعلاً اجتماعياً بامتياز لما تصدّره من معاني إنسانية عميقة ومؤثّرة، نتحدّث مثلاً عن الضّيافة والمواكب، حيث يشارك النّاس عن اختلاف طبقاتهم في إعداد الطّعام، وتقديم الخدمات التي يحتاجها الزوّار في رحلتهم نحو مرقد الحسين، ففي هذه الرّحلة التي يخرج فيها ملايين من البشر لقطع آلاف الكيلومترات سيرا على الأقدام، يجدون من يخدمهم على طول هذه الطّريق من أكل وشرب وإيواء وتوجيه ورعاية صحّية، وهذا التّفاعل بين الأفراد يدفعنا إلى القول بأنّ هذا التّعاون والتّرابط الاجتماعي ليس قوامه القرابة العرقية فقط، لأنّ الزوّار ليسوا من العراق فقط، ذلك أنّ طقس الزيارة طقس دوليّ، يقوم به كلّ شيعيّ في كلّ قطر من أقطار الأرض ويتوجّه إثره إلى كربلاء، أين يجد النّاس هناك فاتحين بيوتهم وصدورهم إلى الجميع، لأنّهم يجتمعون على حبّ الحسين رغم فروقاتهم الثّقافية والاجتماعية واللّغوية، وهذا يؤكّد مرّة أخرى أنّ الزيارة فعل اجتماعي جامع وموحد، وصانع لهويّة جمعيّة عابرة للحدود الجغرافية.

وفقا لمفهوم بنديكت أندرسن Benedict Richard O'Gorman Anderson (٢٦) أغسطس ١٩٣٦ - ، متخصص بالدراسات الآسيوية في جامعة كورنيل، وهو مؤرخ وأستاذ في العلوم السياسية، من أهم أفكاره بحثه في مسألة القومية، وقد صدر له كتاب «متخيل المجتمعات» سنة ١٩٨٣، الذي تحدّث فيه عن أصول القومية، التي يرى أنّها وليدة العصر الحديث، ومفهوم الأمة عنده يتلخّص في أربع خصائص أساسية، هي: متخيّلة، ومحدودة، وذات سيادة، ومجتمع..) للقومية الجماعية فإنّ زيارة الأربعين تُنتج جماعة دينية/ ثقافية، يتخيل أعضاؤها أنّهم جزء من كيان جماعي واحد، رغم أنّهم قد لا يعرفون بعضهم البعض بصفة شخصيّة، وهذا يُسهم بصورة مباشرة في بناء هوية جماعية رمزية متماسكة تتجاوز الزّمكان. فيتحوّل الزائر إثر هذا الفعل الطّقسي الجماعيّ إلى فاعل مقدّس، خصوصا وأنّ مشاركته في مواكب الخدمة تمنحه مكانة معنوية، ويُنظرُ إليه من الجماعة كجزء فعّال، حيث يكسب احتراماً اجتماعياً. وانطلاقاً من هذه التفاعلات الإيجابية بين الجماعة على اختلاف وظائفهم كما أشرنا سابقاً، يتحوّل فعل الزيارة من فعل دينيّ بحث إلى لحظة اندماج جماعيّ عميق، تجدد فيها الجماعة انتماءها وتعيد تأكيد هويتها، وتقوم بتجسيد قيمها في الفعل الجماعيّ الحيّ.

## تداعيات طويلة المدى: إمكانية تحويل الزيارة إلى نموذج عالمي له تأثيراته النفسية والاجتماعية.

ذكرنا سابقا تأثير الزيارة في نفوس المشاركين سواء كان هذا التأثير على المستوى النفسي الفرديّ أو على المستوى الاجتماعي الجمعي، ولهذا نفترض بداية إمكانية تحويل هذا الفعل الطّقسي إلى نموذج عالمي يُحتذى به، ويمكن السير على خطاه في مجتمعات أخرى وثقافات أخرى أو في مناسبات جماهيرية أخرى مثل الحركات الاحتجاجية أو مسيرات حقوق الإنسان مثلا.

من المهم جدا التعامل مع طقس الزيارة على اعتباره طقسا مفارقا للزّمان والمكان ومختلفا كلّ الاختلاف عن باقي الطّقوس الأخرى لما يحمله من تداعيات اجتماعية ونفسية وسياسية وثقافية ورمزية، خصوصا الرموز الإعلائية التي تسعى لاستعادة ما هو ضائع حسب جيلبار دوران Gilbert Durand، الذي يسمها بالرموز التّعويضية باعتبار أنّ كلّ فعل إعلاء يُسعى به عادة إلى إعادة اكتساب ما هو ضائع، فالإعلاء حركة أمتاها عدم رضا الضّمير المنتج للصّورة عن وضعه في كلّ الأديان، ممّا يجعل تلك الصّورة المنتجة وسيلة مناسبة لاستعادة المكانة الضّائعة (Paris, 1987, p66). وهذه الرموز التي تعطي مكانة خاصّة لكربلاء ولتاريخ مقتل الحسين يمكن أن تتحوّل إلى رموز عالمية خاصّة بالحسين إذا ذكر، أي تصبح ملازمة للحسين في الذاكرة الإنسانية، كأن نقول مثلا «هولوكوست» هي كلمة ترمز إلى الإبادة النّازية لليهود والتي تحوّلت فيما بعد إلى كلمة يُرمز بها إلى رفض الإبادة الجماعية والقتل والاضطهاد للفئات المستضعفة وللإنسان عموما، ولهذا نجد هذه الكلمة مثلا تُستخدم الآن كثيرا كرفض لما يمارسه الكيان الصّهيوني ضدّ غزّة وفلسطين المحتلّة.

من هذا المنطلق قلنا أنه من اليسير تحويل طقس الزيارة إلى نموذج عالمي كوني لأنه في نهاية المطاف هو طقس لإعادة تمثيل أو إعادة عيش ما عاشه الحسين وأهله من مظلمة وإبادة منظّمة في العاشر من محرّم سنة ٦١ هجري الموافق لـ ٦٨٠ ميلادي بأرض كربلاء، هو حدث فاصل في تاريخ الإنسانية ومن البديهي أن يكون له سيط كوني أن يصبح رمزا كونيا للمقاومة ولرفض الظلم وأنظّمته وحكّامه، وهذا قد يصبح يسيرا عبر جملة من الحلول التي قد تجعل الزيارة نموذجا إنسانيا كونيا، مثلا كأن تتم إعادة تأطير الزيارة ضمن خطاب إنسانيّ شمولي، أي ان لا يُقدّم هذا الطّقس كطقس طائفي، بل كنموذج للتكافل الإنسانيّ المجاني، ومساحة لإعادة بناء الإنسان من الدّاخل، كما أن يُقدّم كتجربة للسلام والرّحمة الجماعية، ثمّ الحلّ الثاني أو المقترح الثاني، هو أن تُبنى سردية رمزية كونية كما أشرنا سابقا للهولوكوست مثلا، أو المسيح مثلا الذي يرمز عالميا إلى التّسامح والفداء والتّضحية، كذلك على الحسين أن يكون رمزا عالميا للثّورة على الظّلم، ورمزا للحبّ الفاعل والمقاومة.

يمكن كذلك بالحديث عن تحويل طقس الزيارة إلى نموذج كونيّ، أن نتحدّث عن مسألة تدويل التجربة عبر النّخب الثّقافية والإعلامية أي إشراك مفكرين عالميين، وفلاسفة، وأطباء نفسيين، كتّاب، ومخرجين في قراءة الظّاهر وتحليلها، أو عبر إنتاج أفلام علمية أو ندوات ومنصات رقمية تتناول الزيارة من زوايا فكرية وثقافية شموليّة بعيدا عن التّناول أو التّعامل التّقليديّ مع هذا الحدث. يمكن كذلك إدماج أبعاد حقوق الإنسان والسلام في هذا الحدث عبر الرّبط بين الزيارة ومفاهيم مقاومة القمع، وحماية الكرامة الإنسانية، وحفظ الذاكرة الجماعية، فهذه التّفاعلات بين الجانب الحقوقي وطقس الزيارة المحلي، محليّ بمعنى أنّه جامع لفئة المسلمين فقط، تضيف بعدا كونيا شموليا لطقس الزيارة وعبره يتحوّل حدث استشهاد الحسين

ومسألة خروجه، مسألة دفاع عن النفس وعن الكرامة الإنسانية، وهي أيضا مسألة إثبات شرعية وجودية، في ظل وجود أنظمة ظالمة تسعى إلى تغيير المعنى الحقيقي للوجود الإنساني، كما تسعى إلى نشر الظلم والقهر، في مقابل قتل أو وأد معاني الحق، والخير، والأمان، والمقاومة. ثم وفي هذه المحاولات التي تسعى من خلالها إلى تحويل الزيارة إلى نموذج عالمي، لا ننسى الدور المهم والفعال للمرأة لأن الكثير من النساء الزائرات لديهن قصص تحرر ذاتي ملهمة يجب التعامل معها كأمثلة إنسانية شاملة يمكن أن تكون دافعا لتغيير الفكر النسوي وتحديد دور المرأة وفعاليتها في هذه التظاهرات وفي تشكيل الوعي الجمعي وتغيير الوعي الثقافي بالظواهر والمقدسات والقيم الإنسانية، ونأخذ زينب كمثال.

يمكن أيضا ان نتحدّث عن تداعيات طويلة المدى لحدث الزيارة، والتي يمكن تقديمها كنموذج بديل للحدائثة الروحية، أي أن تصبح الزيارة نموذجا لإعادة التوازن بين الروح والمادة، بين الفرد والجماعة، وهذا ما تفتقده مجتمعات الحدائثة الغربية، أي أنهم أحوج المجتمعات إلى الاقتداء بهذه الظواهر الروحية التي ستساعدهم في الحصول على السلام الداخلي والتّصالح النفسي مع ذواتهم، كما تمنحهم فرصة لإعادة هندسة علاقتهم مه المقدّس للتخلّص من الوحدة والقلق والاكتئاب.

إنّ تحويل زيارة الأربعين إلى نموذج عالمي لا يعني طمس بعدها الديني، بل نعني بالعالمية هنا توسيع رمزيتها نحو آفاق إنسانية شاملة، لأنّها ليست مجرد مشي نحو كربلاء، بل هي رحلة داخل الذات والآخر، نحو عالم ممكن يقوم على العدالة، والتّضامن، والمعنى.

نختم القول بأن الحسين بن عليّ بطل ملحمة وجودية خرج لينال الشهادة التي أمر بها منذ لحظة ولادته، وبالرغم من أن معركة كربلاء انتهت بمقتله والتّمثيل بجثّته إلاّ أنّه تمّ اسناد كلّ خصائص التّفوق الدّيني، والسّياسي، والرّمزيّ لها وكان ذلك عبر التّدكير بموقعة الطّف، والزّيارة، وهي موضوعنا الرّئيسيّ في هذا السّيّاق، التي تمثّل ظاهرة مختلفة يجتمع فيها الملايين من النّاس الّذين خرجوا في مسيرة نحو كربلاء لزيارته والتّدكير بهذه المأساة الّتي لم تحمى آثارها بعد من نفوس المسلمين الّذين يعيشون نفس الألم إلى اليوم في كلّ عاشر من محرّم، أين تصبح الزّيارة مناسبة للتأكيد على منزلة الحسين كنموذج للشّجاعة والإقدام وهي الصّفات الّتي وصف الله بها انبياءه، في قوله تعالى «وكأين من نبيّ قُتل معه ريبون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يُحبّ الصّابرين» (آل عمران/ ١٤٦)، فالحسين تقترن أفكاره وقصصه وأخباره تخبر أنّه لم يكن عاديا منذ ولادته، تبيّن أيضا أنّه شخصية حاملة لرسالة إنسانية، وهو أيضا كما قال عنه عليّ شريعتي «هذا الرّجل على مدى تاريخ الإنسان وارث لميراث عظيم هو ميراث النّبوة» (شريعتي عليّ،، بيروت، ص ١٢٦، ٢٠٠٤).

يقول الحسين في عاشوراء «إني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظّالمين إلاّ برما» (المجلسي محمد، ص ٣٨١) وهذه الجملة وحدها كفيلة بأن تؤسس لثقافة فدائية يلتزم بها المسلمين من بعده، بل وكلّ البشر أيضا، فالحسين قال قوله هذا ليكون منهاجا يسير عليه اللاحقون أصحاب القوّة، والبأس الشّديد، الّذين يعلنون كلمة الحقّ، ولا يرضون بالظّلم، فالإنسان يتلقى وجوده بالولادة وماهيته بالاختيار، ولا توجد طريقة مثل لإثبات ماهية الفرد أكثر من اختيار السّير على خطى الحسين وتبني مبادئه، إذ أنّ التّجربة الوجودية الّتي

خاضها الحسين، هي تجربة لها رهان مركزيّ يتمثل في استعادة الذات الإسلامية فعلها الاجتماعي، عبر التقيّد بالنماذج المثالية (عليّ والحسين عليهما السلام مثلاً)، ليصبح هذا النموذج محرّكا اجتماعيا ونفسيا، وباعثا على تغيير الذّهنية الإسلامية، بعيدا عن التّقليد الذي يضعف دور الذات في مجتمعها ويفقدها وجودها ولذلك كان الطّرح النّفسي والاجتماعي لثورة الحسين قائما على أساس على الدّعوة إلى تبني مبادئ العدالة، والحقّ، والحرية، والتّعاون، وهي مبادئ الرّسالات السّماوية والأنبياء، وهي أيضا مبادئ الصّالحين والأئمة من بعدهم.

## استبيان حول الآثار الاجتماعية والنفسية لزيارة الأربعين

### المعلومات العامّة :

- العمر: ٢٩ سنة.
- الجنس: ذكر ( ) أنثى ( ).
- الحالة الاجتماعية: أعزب/ عزباء ( ) متزوج/ة. ( )
- المستوى التعليمي: ابتدائي ( ) متوسط ( ) ثانوي ( ) جامعي ( ) دراسات عليا ( )
- عدد مرات المشاركة في الزيارة: أول مرة ( ) ٢-٣ مرات ( ) أكثر من ٣ مرات ( )

### المحور الأول - الآثار النفسية للزيارة :

- أشعر بالسكينة والطمأنينة أثناء الزيارة: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أشعر بتحسّن في حالتي النفسية بعد أداء الزيارة: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أعتبر الزيارة فرصة للتأمل والتخلص من الضغوط اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).

- أواجه مشاعر حزن وتأثر عميق أثناء الزيارة بسبب الطابع العاطفي للحدث: دائماً ( ) أحياناً ( ) نادرًا ( ) أبدًا ( ) .
- زيارة الأربعين ساعدتني على تقوية الإيمان والصبر في حياتي اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .

## المحور الثاني - الآثار الاجتماعية للزيارة :

- ألاحظ روح التعاون والمساعدة المتبادلة بين الزائرين: دائماً ( ) أحياناً ( ) نادرًا ( ) ( ) أبدًا ( ) .
- المشاركة في الزيارة تقوي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين أصدقاء، أقارب، غرباء: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .
- التفاعل مع الناس من مختلف الجنسيات والثقافات خلال الزيارة يعزز من التسامح والانفتاح: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .
- المشاركة في خدمة الزائرين مثل التبرع أو المبيت أو الطعام تعزز لدي روح العمل التطوعي: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .
- أرى أن زيارة الأربعين تمثل نموذجًا للوحدة والتلاحم الاجتماعي في المجتمع: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .

## ملاحظات إضافية :

هذا الحوار أجريته مع صديقة لي كانت من بين الخدم الذين يقومون بخدمة الزوّار على الطريق نحو كربلاء، والتي حدّثني عن تجربتها مع الخدمة، رغم قصرها، إلا أنّها كانت تتحدّث بكلّ فخر وكلّ اعتزاز بنفسها لأنّها تقوم بهذا العمل طواعية وبكلّ حبّ، رغبة في رضا الله ونيّهِ وآل بيته. وهي أحياناً لا تجد وقتاً لتزور الحسين أو العباس ولكن رغم ذلك تقول أنّها تشعر بالامتنان لأنّها كانت من خدام زوّار الحسين.

استبيان حول الآثار الاجتماعية والنفسية لزيارة الأربعين

المعلومات العامة :

- العمر: ٤١ سنة.
- الجنس: ذكر ( ) أنثى ( ).
- الحالة الاجتماعية: أعزب/ عزباء ( ) متزوج/ة. ( ).
- المستوى التعليمي: ابتدائي ( ) متوسط ( ) ثانوي ( ) جامعي ( ) دراسات عليا ( ).
- عدد مرات المشاركة في الزيارة: أول مرة ( ) ٢-٣ مرات ( ) أكثر من ٣ مرات ( ).

المحور الأول: الآثار النفسية للزيارة

- أشعر بالسكينة والطمأنينة أثناء الزيارة:.. موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أشعر بتحسن في حالتي النفسية بعد أداء الزيارة: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أعتبر الزيارة فرصة للتأمل والتخلص من الضغوط اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أواجه مشاعر حزن وتأثر عميق أثناء الزيارة بسبب الطابع العاطفي للحدث: دائماً ( ) أحياناً ( ) نادراً ( ) أبداً ( ).
- زيارة الأربعين ساعدتني على تقوية الإيمان والصبر في حياتي اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).

## المحور الثاني: الآثار الاجتماعية للزيارة

- ألاحظ روح التعاون والمساعدة المتبادلة بين الزائرين: دائماً ( ) أحياناً ( ) نادرًا ( ) أبداً ( ) .
- المشاركة في الزيارة تقوي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين أصدقاء، أقارب، غرباء: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .
- التفاعل مع الناس من مختلف الجنسيات والثقافات خلال الزيارة يعزز من التسامح والانفتاح: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .
- المشاركة في خدمة الزائرين مثل التبرع أو المبيت أو الطعام تعزز لدي روح العمل التطوعي: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .
- أرى أن زيارة الأربعين تمثل نموذجًا للوحدة والتلاحم الاجتماعي في المجتمع: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ) .

### ملاحظات إضافية :

في هذا الحوار تساءلت فقط عن التأثير النفسي للمشاركة في الزيارة خصوصا وأن الرجل يمشي زيارة لأكثر من عشرين سنة، وهذا لا يعني اغفالي للجوانب الأخرى إنما ركزت على الجانب النفسي لأنه الأهم في هذه الحالة، ولهذا أردت أن أعرف ماذا تغير في نفسه منذ أول تجربة حتى آخر مرة، فكان الجواب أنه يشعر بعمق التجربة وتأثيرها في نفس سنة بعد سنة، وفي كل مرة يزداد شعوره بقوة الانتماء إلى هذه الجماعة، ويشعر بفخر الانتماء لها وبحبّه الشديد لآل البيت الذي يزداد ويتعمق أكثر فأكثر.

استبيان حول الآثار الاجتماعية والنفسية لزيارة الأربعين

المعلومات العامة :

- العمر: ٤٧ سنة.
- الجنس: ذكر ( ) أنثى ( ).
- الحالة الاجتماعية: أعزب/ عزباء ( ) متزوج/ة. ( ).
- المستوى التعليمي: ابتدائي ( ) متوسط ( ) ثانوي ( ) جامعي ( ) دراسات عليا ( ).
- عدد مرات المشاركة في الزيارة: أول مرة ( ) ٢-٣ مرات ( ) أكثر من ٣ مرات ( ).

المحور الأول - الآثار النفسية للزيارة :

- أشعر بالسكينة والطمأنينة أثناء الزيارة:.. موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أشعر بتحسن في حالي النفسية بعد أداء الزيارة: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أعتبر الزيارة فرصة للتأمل والتخلص من الضغوط اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).
- أواجه مشاعر حزن وتأثر عميق أثناء الزيارة بسبب الطابع العاطفي للحدث: دائماً ( ) أحياناً ( ) نادراً ( ) أبداً ( ).
- زيارة الأربعين ساعدتني على تقوية الإيمان والصبر في حياتي اليومية: موافق بشدة ( ) موافق ( ) محايد ( ) غير موافق ( ).

## المحور الثاني: الآثار الاجتماعية للزيارة

- ألاحظ روح التعاون والمساعدة المتبادلة بين الزائرين: دائماً ( أحياناً ) ( نادراً ) ( أبداً ) .
- المشاركة في الزيارة تقوي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين أصدقاء، أقارب، غرباء: موافق بشدة ( موافق ) ( محايد ) ( غير موافق ) .
- التفاعل مع الناس من مختلف الجنسيات والثقافات خلال الزيارة يعزز من التسامح والانفتاح: موافق بشدة ( موافق ) ( محايد ) ( غير موافق ) .
- المشاركة في خدمة الزائرين مثل التبرع أو المبيت أو الطعام تعزز لدي روح العمل التطوعي: موافق بشدة ( موافق ) ( محايد ) ( غير موافق ) .
- أرى أن زيارة الأربعين تمثل نموذجاً للوحدة والتلاحم الاجتماعي في المجتمع: موافق بشدة ( موافق ) ( محايد ) ( غير موافق ) .

### ملاحظات إضافية :

هذا الحوار كان شيقاً للغاية، فقد حدثني الرجل عن تجربته التي انطلقت منذ أن كان بعمر الـ ١٩، وقد كان في البداية ممنوعاً من الزيارة بسبب الحكم السابق في العراق حيث كان يتسلسل ليلاً خلسة مع أصدقائه، فيسلكون سبلاً وعرة وأطول بغية الوصول إلى مرقد الإمام وتأدية واجب الزيارة، فبالرغم من القمع والتهديد بالسجن إلا أن لم يتراجع وكان حاضراً كل سنة في الزيارة، وكان جاهزاً لخدمة الزوّار على اختلاف عقائدهم وأطيافهم، بل قال أنه من بين الزوّار كان هناك سنة وكانوا يعاملونهم بكل حبّ ومودة لأنهم ضيوف ابن بنت رسول الله، ثم قال أن كلّ الخدم بنفس العقلية وكلّهم في خدمة الحسين عليه السلام.

### الكتب:

- الحيدري (إبراهيم)، تراجيديا كربلاء سوسولوجيا الخطاب الشيعي، ط ١، دار السّاقى، العراق، ١٩٩٩، ص ١٣٣.
- شريعتي (عليّ)، الحسين وارث آدم، ترجمة ودراسة وتعليق ابراهيم دسوقي شتا، ط ١، دار الأمير، بيروت، ٢٠٠٤.
- العقّاد (عبّاس محمود)، أبو الشّهداء الحسين بن عليّ، تحقيق جاسم السّاعدي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط ١، طهران، ٢٠٠٤.
- المجلسي (محمد باقر)، بحار الأنوار الجامعة لدرّ أخبار الأئمة الأطهار، نسخة الكترونية من اعداد محمد آل البيت ﷺ على الموقع التّالي: [www.ahl-ul-bait.org](http://www.ahl-ul-bait.org)، بتاريخ ١٠/٠٦/٢٠٢٥.

### المقالات:

- الأسدي (أطيف على كاظم)، آثار زيارة وارث، وقائع المؤتمر العلمي «الإمام الحسين ﷺ وريث الأنبياء وسليل الأوصياء، المجلد الرابع، ص ١٣٣، بتاريخ ٢٥-٠٢-٢٠٢٥.
- وهبي (وفاء)، الحسين وأنطولوجية وراثه المعنى، مقال ضمة وقائع المؤتمر العلمي «الإمام الحسين ﷺ وارث الأنبياء وسليل الأوصياء، المجلد الرابع، ص ٢٦، بتاريخ ٢٥-٠٢-٢٠٢٥.

### الكتب غير العربية:

1. Durand (Gilbert), les structures anthropologiques de l'imaginaire: introduction a l'archétypologie générale, 10éme édition, Paris, 1987.
2. Wayne (Husted), « karbalà » made Immediately : The Martyr as Model in Imàmi shi ism », in M.W. n°384-3/, juillet-octobre 1993, pp 263278-.